

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

قراءة في تطور الموقف البريطاني من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847

**The British position towards
the French colonization of Algeria 1830-1847**

Nait kaci lies لياس نايت قاسي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

Teacher Training School of Bouzareah

lies.naitkaci@gmail.com

تاريخ القبول : 2020-11-22

تاريخ الاستلام : 2020-09-27

ملخص:

انتهج قادة الانجليز سياسة حازمة تهدف الى الحيلولة دون تمكين أي دولة اجنبية من مد نفوذها في المناطق المجاورة لقواعدها البحرية في المتوسط، الا ان التطورات التي عرفها الساحل الشمالي الافريقي نتيجة الغزو الفرنسي للجزائر ومخاوف الانجليز من توسعات إضافية في المنطقة قد تهدد مصالحهم في المغرب او شرق المتوسط أجبرت إنجلترا الى التعامل مع الوضع المستجد بدبلوماسية حذرة، تهدف الى الابقاء على مصالحها وبأقل التكاليف الممكنة.

وتهدف هذه الدراسة الى تتبع المواقف البريطانية من مسألة الغزو الفرنسي للجزائر، ومحاولة قراءة تعامل سياسة الانجليز ونظرت نخبها الى مسألة الغزو. بعدما جرى الاعتقاد ان صراعا محتدما قد ينشب بين القوتين الاستعماريتين، الا ان الدلائل التاريخية والوثائق تدل على وجود تفاهات كثيرة من منطلق الاستعمار ملة واحدة.

كلمات مفتاحية: بريطانيا، الاحتلال الفرنسي، الأمير عبد القادر، البحر الأبيض المتوسط، نظام توازن

Abstract :

The English leaders pursued a firm policy aimed at preventing any foreign country from extending its influence in the vicinity of its naval bases in the Mediterranean, but the developments in the North African coast due to the French invasion of Algeria and the English fears of additional expansions in the region may threaten their interests in Morocco or Eastern Mediterranean. This forced England to deal with the new situation with careful diplomacy, aiming to maintain its interests and at minimal cost.

This study aims to track British positions on the issue of the French invasion of Algeria, and to try to read the treatment of English politicians and their elites regarding the issue of the invasion .

Keywords: The British Empire; the French occupation; the Mediterranean; Emir Abd-el-Kader; International relations.

وصايتها عليه.

1. مقدمة:

ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أخذت المصالح الأوروبية تزداد نمواً يوماً بعد آخر في المتوسط، وظهر جلياً مدى التفوق البريطاني في المجال التجاري والصناعي، وأدركوا أهمية الإبقاء على تفوقهم البحري، وسعوا في نفس الوقت الى عقد الاتفاقيات والمعاهدات بالمناطق الحيوية في المنظور الاستراتيجي البريطاني، ومراقبة بكل يقظة وحذر التحركات الفرنسية الاستعمارية المنافسة لهم في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

ولقد كانت منطقة الحوض الغربي للمتوسط محط أنظار الكثير من الدول الطامعة في إرساء قواعد لها على البحر الأبيض المتوسط، لما لها من فائدة قصوى على سبيل السيطرة الاقتصادية والسياسية في تلك المنطقة، وامتلكت المنطقة المقومات الهامة لتجعلها عرضة لعمليات القرصنة الاستعمارية. وسعت الدول الأوروبية منذ بداية العصر الحديث إلى محاولة فرض وجودها وتثبيت مصالحها وامتيازاتها في المنطقة وفرض

فيها الا ما ارتبط بشكل مباشر بعملية تحقيق تلك الأهداف، وقد حددت بريطانيا مبادئ أساسيين في رسم علاقاتها الخارجية:

- الحفاظ على مبدأ توازن القوى في أوروبا، والاتفاق على مبدأ التشاور لحل الخلافات او الالتزامات الطارئة، واعتبرت إنجلترا حامية هذا الاتفاق والقائم عليه.

- السيطرة المطلقة على الطرق البحرية والمضائق الرئيسية الرابطة بين مستعمراتها ومناطق نفوذها والإبقاء على حالة الغلبة والتفوق في المجال البحري، ورفض المهادنة مع أي تهديد لهذا الوضع.

أدركت بريطانيا أهمية السيطرة والتحكم في مداخل المتوسط، على أنها أفضل طريقة لمراقبة الحوض الغربي منه، وكذا الطرق المؤدية إلى الشرق الأقصى، فسيطرت على صخرة جبل طارق سنة 1704 ثم حققت مكاسب إقليمية بحرية هامة خلال ترتيبات مؤتمر فيينا 1815، كما حاولت بريطانيا إنشاء قوة بحرية أوروبية تحت قيادتها لردع القوى المنافسة في المتوسط - البحرية الجزائرية بالخصوص-، و لفشل مشروعها تبنت عمل عسكري أحادي الجانب ضد الجزائر من خلال حملة اكسماوث 1816، كما دفعت التهديدات التي أطلقها محمد علي باشا من مصر والتحركات المريبة للفرنسيين في شمال إفريقيا البريطانيين إلى تبني استراتيجية هدفها الحفاظ على تفوقهم البحري ورفض أي تعاضل لقوى منافسة او مهددة في المنطقة.

كان الهدف الفرنسي من غزو الجزائر سنة 1830م هو محاولة توسيع نفوذهم في المنطقة، ومقارعة السيطرة البريطانية على المتوسط، وقد صرح الملك الفرنسي لوي فيليب بالقول " إن فرنسا غير مستعدة للتخلي عن الجزائر بل لا تريد أن ترى إنجلترا في بحيرة لا تطل حتى عليها"².

في الوقت الذي اعتبرت بريطانيا الغزو قضية تمس مباشرة مصالحها التجارية وبالتالي العلاقات السياسية بين دول المتوسط، ولذلك تدخلت في القضية واعتبرتها مفتاح الحفاظ على التوازن الدولي ذكرولينقوتون رئيس الوزراء الإنجليزي في هذا الصدد: " Nous sommes les seules intéressés à conserver dans la Méditerranée l'équilibre des forces et d'influences tel qu'il existe et sans alternation "³

وشكلت التطورات التي شهدتها منطقة الشمال الإفريقي، نتيجة لسياسة فرنسا التوسعية، والتي أفضت إلى غزو الجزائر سنة 1830، مادة دسمة لنقاشات فكرية وسياسية، ورغم تأثيرات الغزو الفرنسي للجزائر على موازين توزيع القوة في أوروبا والمتوسط الا ان الموقف السياسي البريطاني ظل في عمومته منكمشا وباهتا، ولم يرق الى مستوى المواجهة الشاملة والرادعة.

تحاول هذه الدراسة رصد الموقف البريطاني وتطوره من بداية مشروع الغزو الفرنسي للجزائر الى محاولات الأمير عبد القادر ربط الصلات بالإنجليز، وهناك شبه غياب لدراسات تهتم بتشريح الموقف الإنجليزي ومحاولة فهم تصورات الساسة البريطانيين لمستقبل المنطقة في ظل الاندفاع الفرنسي. فكيف يمكن قراءة الموقف البريطاني وفهم اهتمامات السياسة الخارجية البريطانية اتجاه التطورات السياسية والعسكرية الحاصلة في الجزائر؟

2.- المساعي البريطانية لتقويض مشروع الغزو الفرنسي للجزائر:

ظهر جليا تزايد الاهتمام البريطاني بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وانعكس ذلك على النشاط الدبلوماسي الإنجليزي منذ العشرينيات من القرن التاسع عشر، والواضح ان هذا الاهتمام كان نتيجة حتمية لما شهدته التجارة الإنجليزية من تعاظم نشاطها في المستعمرات او في الأسواق الخارجية النافذة فيها، يفسر ذلك الى ما شهدته بريطانيا من ثورة صناعية افضت الى زيادة حاجتها للمواد الأولية وتسويق فائض الإنتاج فيها ثم تبنيها سياسة التبادل الحر¹.

ان المتتبع للسياسة البريطانية سيلحظ انها قد اتسمت بالاختيار بحكم موقعها الجغرافي الجزري وتراخي مناطق نفوذ إمبراطوريتها، أي اختارها صانع القرار من بين سياسات بديلة متاحة، ولم تفرض تماما من خارج النظام السياسي القائم على التصور الامبريالي.

لم تكن السياسة البريطانية مجرد رد فعل آلي للبيئة الخارجية او مستجدات الوحدات الدولية الأخرى، ولكنها عملية واعية تنطوي على محاولة التأثير على تلك البيئة او التأقلم معها، وتحقيق مجموعة من الأهداف المحددة سلفا، وبالتالي لا يدخل

بدأت الدبلوماسية البريطانية جد نشيطة ورمت بكل ثقلها من أجل إفشال المخطط الفرنسي -المصري لاحتلال الجزائر، وعملت على مستويات مختلفة لإفشاله من خلال نشاط دبلوماسي كثيف قاده سفراء بريطانيا وقناصلهم لتطويق واحتواء المشروع وبالتالي قبره:

- إبلاغها الباب العالي والدول الأوروبية بالمشروع الفرنسي وفضح الاطماع الفرنسية في المنطقة وما يشكله ذلك من خطر على البعد الإقليمي والأوروبي والدولي،

- محاولة إقناع الجانب الفرنسي والمصري بالعدول عن هذا المشروع وذلك من خلال جملة اللقاءات والمشاورات المنعقدة في عواصم مختلفة وإلى تكثيف الضغوط الدبلوماسية على الجانبين.⁷

- إخبار الجزائر وتونس وليبيا بما يحاك ضدهم بين فرنسا ووالى مصر من محاولة التوسع والسيطرة على المنطقة بعد ان تقاطعت مصالحهم الثنائية وتوافقت على مشروع الحملة العسكرية

وكانت الدعاية البريطانية تعتمد في اسلوبها على حجج واعتبارات تاريخية لإبراز خطر المشروع الفرنسي على توازنات القوة في المنطقة متحججين في ذلك بما كان من تجربتهم المؤلمة مع توسعات نابليون 1802-1814، وفي هذا الإطار قام القنصل البريطاني في الجزائر سيرجون بتنبية وتحذير قنصل سردينيا إلى عواقب تمكين فرنسا من الاستقرار بالجزائر، اعتبارا أن ذلك سيشكل تهديدا وخطرا على أمن أوروبا نفسها.⁸

وفي الجانب الآخر هددت بريطانيا والى مصر من اية محاولة توسعية في الغرب من مصر، نلتمس ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها ولينقتون إلى اللورد أبردين (Lord Aberdeen) يحدد له فيها تفاصيل التعامل مع الموقف المصري: "يجب التحرك والعمل على إكراه محمد علي للعودة إلى الطاعة - أي طاعة الباب العالي. وإن لم يستقم سنعمل إلى جانب الباب العالي حتى تقتطع منه أراضي المتواجدة في البحر المتوسط، في سوريا والبحر الأحمر، وأخبر كذلك الحكومة الفرنسية".⁹

"نحن المؤهلون دون غيرنا للحفاظ على حالة توازن القوى في المتوسط كما هي و دون وساطة " كما كانت بريطانيا على دراية بالخطر الذي يهددها لو تحققت المخططات الفرنسية فسيؤدي ذلك إلى عزلها في أوروبا والقضاء على مصالحها التجارية والسياسية والاستراتيجية في المنطقة، وبالتالي تتعرض مناطق نفوذها وارتكازها (جبل طارق، كورفون، مالطة) للخطر، وهو ما يعني مباشرة فقدانها لمناطق تركزها في المتوسط، وسيؤثر تأثيرا كبيرا على طريقها المؤدي إلى الهند وتأثيرات سلبية على تجارتها الخارجية.⁴

ولقد بدى واضحا الدخول القوي للدبلوماسية البريطانية في القضية الجزائرية منذ الوهلة الأولى، سعيا منها لإفشال المخطط الفرنسي وحليفها محمد علي لغزو الجزائر. ان السياسة الخارجية البريطانية هي برنامج ذو بعدين رئيسيين:

- البعد العام ويشمل التوجهات والأدوار والأهداف والاستراتيجيات التي اعتمدها بريطانيا في تفاعلها مع التحولات التي شهدتها المنطقة المتوسطية ومحاولة فهم هذه السياسة في بعدها المتكامل.

- البعد المحدد: وينصرف الى مجموعة القرارات والسلوكيات والمعاملات التي اتخذها صناع القرار في بريطانيا اتجاه المسألة الجزائرية، ومدى انسجامها مع البعد العام للرؤية البريطانية.

تزامنت وقائع الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 م، مع تغيرات جوهرية مست وزارة الخارجية البريطانية فقد تم تعيين اللورد بالمستون (Palmerston)⁵ على رأسها، هذا الأخير عرف بسياسته العدائية اتجاه أي توسع للنفوذ الفرنسي في البحر المتوسط والعالم⁶، لقد شغلت الدبلوماسية البريطانية خلال المراحل القادمة العديد من القضايا يمكن تحديدها في ما يلي :

- الغزو الفرنسي للجزائر وتأثيراته على مبدأ توازن القوى الأوروبي.

- ضمان التموين المستمر لمنطقة جبل طارق من خلال التجارة مع المغرب.

- الإبقاء على حالة التفوق البريطاني في البحر

تدخلًا في الشؤون الفرنسية، مذكرا إياه بما أقدمت عليه إنجلترا في حملتها سنة 1816، إذ لم تستشر في ذلك لا فرنسا أو غيرها من دول أوروبا¹⁴.

اقتعنت بريطانيا باستحالة حل النزاع في إطاره الدبلوماسي وتيقنت أن فرنسا ماضية في مشروعها العسكري سواء بموافقتها أو دون ذلك، بل أن أسلوب القوة أصبح أكثر وضوحا في المراسلات والمحادثات الرسمية بين البلدين، أكد هذا وزير البحرية الفرنسية دوسي لسفير بريطانيا ستوارت بالقول " بأن ملك فرنسا قد قرر الحملة وسوف تكون وأن معارضة إنجلترا لم تعد لهم فرنسا، فالزمن الذي كانت فيه إنجلترا تملئ قواينها على أوروبا قد انتهى"¹⁵.

أصبحت الدبلوماسية البريطانية بنكسة وفشلت في الحصول على ضمانات فرنسية، بل أن فرنسا استطاعت تجاوز ضغوطاتها وتهديداتها، أمام هذا الوضع المستجد قررت بريطانيا تعزيز تواجدتها العسكري في البحر الأبيض المتوسط، فضاعفت عدد قواتها في المنطقة ومن استعدادها العسكري في كل مكان خاصة بميناء مالطا وبالمال وجبل طارق، الأمر الذي أخاف فرنسا وأقلقها كثيرا، ولكن الحملة تمت وهللت الدول الأوروبية بها. والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هل التحرك البريطانية جاء بنية التحضير الجاد لعمل عسكري محتمل ضد فرنسا أم أنه مجرد قرار احترازي هدفه إرسال إشارات لفرنسا وتأكيد الحضور البريطاني في المنطقة؟

3. الغزو الفرنسي للجزائر وموقف بريطانيا منه:

أظهرت بريطانيا موقفا معارضا لاحتلال الجزائر¹⁶، ولكل محاولة توسعية إضافية في المنطقة، والحقيقة أن الموقف البريطاني بدا باهتا واكتفت بريطانيا بتأكيد موقفها على لسان وزير خارجيتها أبردين الذي لافال بأنه يهتئ فرنسا على وصول أسطولها وسهنتها أكثر على رجوعه. كما أوضح أبردين أن الموقف البريطاني من التحرك الفرنسي في السواحل الجزائرية ليس من منطلق ضعف بل أن الأسطول البريطاني وخاصة القطع المراقبة في جبل طارق لم تتلق الأوامر من أجل التحرك، وإذا استدع الأمر فسيكون ذلك¹⁷.

ونظرا لما كان من تأثير الدبلوماسية البريطانية في صناعة القرار السياسي الأوروبي، قامت فرنسا بالمقابل بحملة دعائية لمشروع الغزو وصالت بين الدول الأوروبية وقدمت الضمانات والمبررات لأهداف الحملة العسكرية، فقد سوق بوليناك مشروع الحملة ضد الجزائر على أنه مشروع فرنسي بأرباح لصالح الأوروبيين، ووجدت فرنسا التأييد المطلق سياسيا ولوجستيكا من عديد الدول الأوروبية خاصة حكومة برلين وبيرسيبورغ وهذا ما زاد في حماسها للمضي في تنفيذ مشروعها¹⁰. بعد أن رفعت جميع تحفظات الدول الأوروبية حول الحملة ومن ذلك اشراك محمد علي وال مصر.

ان المتفحص للرسالة التي وجهها وزير الخارجية البريطاني أبردين إلى قنصله ستوارت في باريس والمؤرخة في 05 مارس 1830، سيتلمس حالة الإحباط بسبب فشل الجهود الدبلوماسية البريطانية في توقيف أو إفشال مشروع الحملة العسكرية على الجزائر، وأن الهدف من الحملة ليس ما تسوقه من تأديب الداي ولكن الهدف هو تحطيم الجزائر وهذا ما لا يرضى الحكومة الإنجليزية خاصة وأن الجزائر تحتل مكانا جغرافيا جد مهم، وأخبره بأنه قد تحدث مع سفير فرنسا بلندن الدوق دي لافال حول الموضوع ووعده هذا الأخير بأنه سيراسل حكومته ليتمكن من إعطاءه ضمانات رسمية¹¹.

ودعا أبردين ستيورات إلى فتح الموضوع مع بوليناك حتى يحصل على جواب لاستفساراته وقد وعد بوليناك اللورد ستيورات بإبلاغ الحكومة البريطانية عن هدف الحملة ومستقبل الجزائر ريثما يقرر الملك الفرنسي ذلك¹² في نفس الإطار كتب بوليناك منشور (12 مارس 1830) أرسله إلى الدول الأوروبية مدافعا عن وجهة النظر الفرنسية من أن القضية الجزائرية والقضاء على القرصنة مشكل أوروبي تتحمل فرنسا حله لصالحها¹³.

وفي رسالة مؤرخة في 26 مارس 1830 من ستوارت إلى وزير خارجيته أبردين ضمنها رد بوليناك حول التحفظات والتخوفات البريطانية قائلا " أن هدف الحملة على الجزائر ليس من أجل الاستحواذ على الأرض..."، مؤكدا على مسألة حق فرنسا الشرعي في الاستحواذ على المراكز التجارية بالقالة والباسيون و هي غير مستعدة للتنازل عنها، واعتبر أن ما تقوم به بريطانيا

اجبار فرنسا على وقف العدوان، وهذا ما اكده جوايسيسها للورد ستورات بقولهم «ماذا تنتظر بريطانيا للهجوم على فرنسا»²⁴

حتى أن الأميرال دوبيري القائد العام للقوات البحرية الفرنسية قال بأنه لو قامت بريطانيا بالهجوم على الفرنسيين فإن فرنسا لن تتمكن من صد هجوما، وتمنى أن تأخذ المحادثات بين الحكومة الفرنسية والبريطانية فترة أطول حتى تتمكن فرنسا من الوصول إلى هدفها²⁵

إذا كيف يمكن فهم وتفسير موقف الحكومة البريطانية، في الحقيقة أن هذا الموقف عبر عنه بوضوح قنصلها العام بالجزائر السيد سان جون إذ كلما سأله الداي حسين عن مخاطر الحملة الفرنسية كان يرد عليه بقوله: "اصمدوا، فإن فرنسا ستسحب في النهاية، وأن بريطانيا ستؤديكم " (كوران). إلا أنه في نهاية المطاف اتضح أن فرنسا لم تنسحب وأن بريطانيا لم تساند الجزائر، ويمكن اعتبار وعود السفير البريطاني في الجزائر مراوغة دبلوماسية.

وقد سبق للجزائر وأن عايشت نفس الوعود البريطانية، فقد أكدت بريطانيا للجزائر سنة 1792، وقوفها في وجه أي خطر خارجي يهددها ما دامت أواصر الصداقة بينهما لكن الموقف البريطاني كان سلبيا عندما هاجم الأسطول الأمريكي الجزائر عام 1815، بل استغلت الظروف وشنت حملة أكسماوت ضد الجزائر عام 1816م²⁶

لقد فضلت بريطانيا ترك موقفها في حالة غموض، وسعت لحماية مصالحها من خلال موقفها المتأرجح بين فقدان صداقة الدولة العثمانية والولايات العربية، وحرب مع فرنسا، حاولت من خلال دبلوماسيتها ألا تسمح يتوسع غربي في المنطقة، ولكن إن حدث فإن اهتمامهم سيرتكز على الإبقاء على النفوذ الفرنسي في البحر المتوسط في إطار حدود معينة، وإن رفضت بريطانيا مشروعية الاحتلال الفرنسي للجزائر، فإنها لزمّت الصمت الكامل في الموضوع، دون إزاحته من انشغالها الأساسية.²⁷

4. بريطانيا وتطورات الوضع في الجزائر :

اضطرت بريطانيا امام سياسة الامر الواقع الى التعامل مع مستجدات الوضع وفي نفس الوقت رفضت الموافقة على اية

لم يكن الهدف الفرنسي من العزو هو حملة تنتهي بتأديب الداي او تدمير القطع الحربية المهدة للأمن في المتوسط او عمليات جراحية محدودة الزمان والمكان على غرار ما كانت عليه الحملات الاوربية السابقة، بل كان الهدف محاولة انهاء اiale الجزائر وسيادتها البحرية، و الاحتفاظ بها كقاعدة تكون ذات أهمية في المواجهة اللاحقة مع إنجلترا، وفي ذلك تلقى بولينياك من دي بورمون في 13 جويلية 1830 دعاه فيها إلى عدم التخلي عن الجزائر لان من نتائج ذلك ان يخلو السبيل لبريطانيا للاستحواذ على الجزائر، وتجعل منها قاعدة تهدد مصالح فرنسا في إفريقيا في حالة نشوب حرب بينهما¹⁸.

أمرت الحكومة الفرنسية قادة الحملة الى البدء بالعمل على توطيد الاحتلال العسكري ومن ذلك دعوة القناصل الاوربيين في الجزائر الى تجديد اعتماداتهم من الدولة الفرنسية وفي ذلك اعتراف بسياسة الامر الواقع. الا ان بريطانيا رفضت تجديد الاعتماد لقنصلها لأنه معتمد أصلا لدى الداي، كما أعلنت رفضها المشاركة في أي نشاط دبلوماسي او بروتوكولي يهدف إلى اعترافها باحتلال الجزائر¹⁹

اتضح موقف الحكومة البريطانية جليا بعد ثورة يوليو 1830²⁰، التي أطاحت بشارل العاشر ملك فرنسا (1824-1830) وسقوط عهد الملكية، ووصول لوي فيليب (Louis – Philippe)²¹ (1830-1848) إلى الحكم، وزاد التقارب الفرنسي البريطاني، فقد ذكر ولينقتون لأبردين بأن يستغل الظروف لحل كل مشاكل بريطانيا مع فرنسا بما فيها القضية الجزائرية خاصة بعد، أن استولى حزب الأحرار الفرنسي على السلطة في نوفمبر 1830²².

والظاهر أن ولينقتون كان يتوقع بأن سياسة فرنسا على عهد لوي فيليب ستكون غير سياسة شارل العاشر، لكن الواقع أثبت غير ذلك، فقد أوصى لوي فيليب سفيره الجديد بلندن تاليران بالقول: "إن قضية الجزائر تشكل الجزء الأكثر حساسية في مهمتهم، والقائل كذلك بأن فرنسا غير مستعدة للتخلي عن الجزائر بل لا تريد أن ترى إنجلترا في بحيرة لا تطل حتى عليه"²³

ولم يبق لبريطانيا إلا أن تساند فرنسا في احتلالها للجزائر، لم تتجرأ الحكومة البريطانية للوقوف في وجه الحملة الفرنسية، فكل المؤشرات كانت تؤكد قدرة وجاهزية الاسطول البريطاني في

أيديهم، ومن ثم تقع تلمسان، وغيرها من المناطق التي تحكم فيها الدايات من قبل، تحت سلطانهم بحق الغزو، ولا تستطيع بريطانيا الاعتراض على هذا الحق وعلى ذلك فإذا قرر السلطان أن يواجه الفرنسيين في هذا الموضوع فعليه ألا يعتمد على المعونة البريطانية³⁵.

كما حذر هاي من أن السلطان عبد الرحمن سيواجه كارثة إذا ما تحدى فرنسا بسبب تفوقها الساحق في السلاح وقد صرح هاي للمغربيين بتسجيل ما قال وأصر على أن سياسة السلام سوف تحقق أفضل المصالح المغربية³⁶.

بطبيعة الحال كان لهذه النصيحة وقعها لدى السلطان الذي استجاب لمطالب الفرنسيين والتي تضمنتها رسالة دي مورني والتي تتلخص في توثيق العلاقات الفرنسية المغربية والتزام الحياد وأن يستدعي ابن الحمري من تلمسان وعدم التدخل في شؤون الجزائر نهائيا. وجاء ذلك في رسالة وجهها السلطان إلى الملك الفرنسي لوي فيليب بتاريخ 13 أفريل 1832 التزم فيها استدعاء ابن الحمري وعدم التدخل في شؤون الجزائر³⁷، وسعى السكان إلى إيجاد قائد لصد عدوان الفرنسيين ونشر الأمن، فوقع اختيارهم على الأمير عبد القادر.

5. المخاوف البريطانية من تأثيرات مقاومة الأمير على مصالحها في المغرب:

استأثرت القضايا المرتبطة بالأمير عبد القادر وعلاقاتها بالسلطان المغربي عبد الرحمن وبالفرنسيين اهتماما كبيرا من الحكومة البريطانية، وشكلت في نظر ساسة بريطانيا مشكلة حساسة للسلطان المغربي، فألحت على السلطان ليمتنع عن خلق أية أسباب يمكن أن تتخذها فرنسا ذريعة للهجوم على المغرب³⁸. فقد نظر المغاربة إلى الأمير باعتباره بطلا وطنيا مدافعا عن أرض الإسلام، وجبت على السلطان نصرته ودعمه، لكن ذلك سيجلب إليه المشاكل مع فرنسا³⁹.

وقد شهدت علاقات الأمير مع السلطان المغربي تقاربا كبيرا، فصاحب التحفة ذكر أنه بعد إبرام معاهدة دي ميشال أرسل

محاولة توسعية إضافية في الشمال الإفريقي، فأجتمع بالمرستون بالسفير الفرنسي في لندن، ونقل إليه ضمانات حكومته بعدم وجود أية نوايا فرنسية لغزو تونس وطرابلس أو المغرب²⁸.

لقد شهد الإقليم الغربي اضطرابا كبيرا²⁹، ونزح سكانه في غالبيتهم إلى تلمسان بعد أن فقد الجميع لحكومة شرعية، تشرف على متابعة مشاكلهم ويرجعون إليها لتسيير حركة جهادهم ضد المغتصب³⁰.

كان على السلاطين المغاربة أن يواجهوا على حدودهم الشمالية الشرقية جارا عدوانيا، مستعدا لفرض نفوذه وسيطرته على المنطقة، بالنظر إلى ما يميزه من قوة عسكرية فائقة، ونتج عن ذلك توجه سلطان المغرب عبد الرحمان إلى طلب النصيحة والعون من البريطانيين³¹.

أرسل الجنرال كلوزيل ضابط أركانه أوافاري إلى المغرب بهدف الاحتجاج على التدخل المغربي في شؤون "المستعمرة"، بعدما تم تعيين ابن الحمري لتولي شؤون تلمسان، وفي نفس الوقت قام دامريمون باحتلال المرسى الكبير في 12 ديسمبر 1830، واستسلم الباي حسن طالبا الأمان مقابل تسليم مدينة وهران والانسحاب نحو الشرق في أواخر جانفي 1831³².

رفضت فرنسا قبول أي حضور مغربي بالغرب الجزائري، وأرسلت بمبعوثها الدبلوماسي الكونت دي مورناي إلى طنجة 22 مارس 1832م، لمطالبة السلطان بالجلء المغربي عن المنطقة³³.

قدم كل من القايد محمد بن عبو بن عبد المالك والطبيب البياز مدير الجمارك المغربية في طنجة رأيهما حول السياسة التي يمكن إتباعها تجاه القضية الجزائرية. بعدما طلبا من القنصل العام البريطاني هاي إخلاصهم النصيحة التي يقدمهاها إلى السلطان عبد الرحمن. وكان سبب اختيار هاي يعود إلى ما أكده هاي بنفسه لحكومته، كون أن بريطانيا هي أقوى أصدقاء المغرب وأكثرهم جدوى، وإلى علاقاته الكبيرة ورصيده الدبلوماسي وخبرته في هذه المسائل³⁴.

وكانت نظرة هاي وهي لا تختلف عن موقف بلاده مما حدث في الجزائر حيث أن الفرنسيين استولوا على الجزائر " بحق الغزو"، ويمتد هذا الحق على كل الأراضي التي يدعون وجودها في

الكبريت، كما تحصل من بعض الأسواق على مئات البنادق من النوع الرفيع، مساو بعض قطع المدافع⁴⁵.

و مما جاء في تقرير بيجو الذي وجهه إلى وزيره للحربية بعد معركة موزاية ما يلي " :إن الإنجليز يمدون الأمير بكثير من المساعدة ولاسيما الملابس ولولا مساعدة الإنجليز ومساعدة سلطان المغرب لأصبح منذ وقت طويل في ضيق شديد"⁴⁶.

وكان من أساليب المساعدة المقدمة من المغرب وبريطانيا غير المباشرة ضمانهما تحركات هؤلاء الوسطاء بوثائق مزيفة، واستخدام الأراضي المغربية كقواعد لدعم حركة الجهاد في الجزائر، وتوفير الأمان للقوافل المحملة بالسلح والذخيرة عبر الطرق المؤدية من مضيق جبل طارق إلى تلمسان، وكانت الموانئ المغربية مثل تطوان وطنجة والعرائش والرباط قاعدة لاستقبال الأسلحة من الخارج، ثم توجه إلى فاس ومنها إلى المدن الجزائرية الخاضعة لسلطة الأمير عبد القادر⁴⁷، وشكلت هذه المساعدات أحد أسباب التوتر بين فرنسا والمغرب.

6. الصدام الفرنسي المغربي وموقف بريطانيا منه:

لقد تم الاطلاع على الكثير من الوثائق الدبلوماسية البريطانية والفرنسية دلت على وجود تنسيق وتعاون كبيرين بين فرنسا وبريطانيا فيما يتعلق بقضايا المغرب والمنطقة، ولعل ما يمكن إثبات هذه الحالة من التقارب الفرنسي البريطاني، هو ما كان من محاولة الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على ميناء بالمغرب⁴⁸ فقد بعث هاي القنصل البريطاني بالمغرب بتاريخ 17 فبراير 1836 برسالة سرية إلى وزير الحرب والمستعمرات البريطاني مفادها أن الأمريكيين يحاولون الحصول على مركز بحوض البحر الأبيض المتوسط ، وقد اتصل غرانفيل Granville السفير البريطاني في باريس مع المستورن يخبره بمحادثاته مع تيري Thiers وزير الخارجية الفرنسي بشأن هذه المسألة وعن الجهود التي يمكن أن يبذلها لمنع نجاح مثل هذه المفاوضات مع المغرب وهي مفاوضات ليست في صالح بريطانيا وفرنسا⁴⁹.

ويبدو أن فرنسا قد أخذت الأمور بجديّة كبيرة مستغلة مساندة السلطان عبد الرحمان للأمير، حيث أرسلت سفن حربية لميناء طنجة في يوليو 1836 للاحتجاج عن هذه المساندة

السلطان عبد الرحمان وفدا إلى الأمير عبد القادر لتهنئته. وصل وفد السلطان عبد الرحمن بن هشام صاحب المغرب الأقصى لأداء التهنئة للأمير بالملك وأصبحهم هدية من نفائس بلاده، ومقدار وافر من ذخائر الحرب وأدواته ..."⁴⁰

وبحثا عن الدعم الخارجي كتب الأمير إلى وليم الرابع ملك بريطانيا يطلب مساعدته باعتبار بلده قوة دولية، ولم تعترف إلى ذلك الوقت بالاحتلال الفرنسي للجزائر، بالإضافة إلى استثمار العلاقة المميزة بينه والمغرب⁴¹، كما طلب عونه في تدبير لقاء بينه وبين سلطان المغرب، وقد قام أحد أعوان عبد القادر بتسليم هذا الخطاب إلى هاي في يناير 1836 فبعث به القنصل العام إلى لندن في 15 من نفس الشهر⁴².

وقد جاء الرد البريطاني على خطاب الأمير إلى هاي في فبراير 1836 وتضمنت التعليمات أن يكون الرد على عبد القادر على النحو التالي: " سوف تبلغ الرئيس باختصار ولكن بكتابة بأن حكومة جلالته لديها من الانشغالات ما يمنعها من الاستجابة إلى مطلبه، وأنه ليس من أمل لدى جلالته الملك بأن يتمكن من التوسط بينه وبين إمبراطور المغرب"⁴³.

وتبع وصول هذه التعليمات وصول رسالة من اللورد بالمستون وزير الخارجية البريطاني مؤرخة في 13 جوان 1836 وجاء فيها أن على القنصل " أن يتجنب بقدر الإمكان التورط في المراسلات مع عبد القادر وأعوانه "، كما تضمنت أيضا التعليمات بعدم التورط بأي شكل في النزاعات بين الفرنسيين والسلطان.

وقد وجهت سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر بالمسؤولية وراء تسليح الأمير إلى المغرب وبريطانيا، فحسب تقرير دوماس المؤرخ في 16 نوفمبر 1838 فإن الظاهر بن جلون وهو تاجر من فاس وله معاملات تجارية نشيطة مع تجار جبل طارق خاصة بواسطة يهودي يدعى ابن آسي، ودورهما هو تزويد الأمير بما يحتاجه من سلاح وذخيرة والتجهيزات الحربية، والعمل لدى ملك المغرب وإقناعه بالوقوف إلى جانب حركة الأمير عبد القادر⁴⁴، شخصية أخرى كان لها دور بارز في تزويد الأمير بالسلاح هو الحاج طاهر، فبحكم علاقاته مع تجار جبل طارق استطاع الحصول على العديد من قطع السلاح وشحنات من مادة

وفي الوقت نفسه لإفشال المخطط الأمريكي للحصول على أية محطة بحرية في المغرب.⁵⁰

امام الانهزامات المتكررة لفرنسا في مواجهتها لأحمد باي في الشرق الجزائري والأمير في الغرب، اضطرت الى عقد معاهدة التافنة مع الأمير سنة 1837م، وتركيز مجهودها الحربي على قسنطينة التي تم الاستيلاء عليها في 1837، لتبدأ مساعي الفرنسيين للتخلص من شروط هذه المعاهدة وطلب تعديل شروطها⁵¹، الشيء الذي رفضه الأمير، ليعاود القتال من جديد رسميا بتاريخ 19 نوفمبر 1839، واستطاعت فرنسا تحقيق انتصارات كبيرة وسيطرتها على المناطق الساحلية التي كانت في قبضة الأمير.⁵²

وبدا واضحا أن المتنفس الوحيد للأمير بعد أن اشتد عليه الحصار هو الاتصال بالعالم الخارجي وخاصة المغرب الأقصى للحصول على الإمدادات اللازمة واتخاذ كقاعدة خلفية يلجأ إليها الأمير كلما اشتد عليه الحصار من الفرنسيين، كما عاود عبد القادر الاتصال بالحكومة البريطانية.

وفي هذا المنحى كتب في فبراير عام 1840 للملكة الشابة فيكتوريا، ومما جاء في هذه الرسالة التي تسلمها هاي ليعبث بها إلى لندن " أن الفرنسيين قد انتهكوا بغدر معاهدة السلام التي كانوا قد عقدوها معه، وقال إنه في مثل هذه الظروف ينبغي التفاوض مع ممثل بريطاني لإقامة علاقة تجارية بين بريطانيا وبين الأراضي التي يسيطر عليها⁵³.

وردا على خطاب الأمير عبد القادر، أرسل بالمستون في 21 أبريل 1840 تعليماته إلى هاي جاء فيها: "إن سياسة الحكومة البريطانية تقوم على عدم مناصبة فرنسا أو الأمير العداء، ومن ثم ارى على ضوء هذه السياسة الامتناع عن الإجابة على خطاب الأمير".

تزايدت احتمالات المواجهة بين السلطان عبد الرحمن و الفرنسيين نتيجة تزايد العون الذي يحصل عليه الأمير عبد القادر من المغرب، فقد رصد الكولونيل سكوت في مذكراته بعض تلك المساعدة المغربية للأمير خلال سنة 1841، هذه المساعدات دعت الفرنسيون إلى تقديم الاحتجاجات والتحذيرات .

حاولت بريطانيا استباق الأحداث ومنع الانزلاق، فأرسل بالمستون تعليمات إلى هاي تقضي بأن يؤكد هذا الأخير للسلطان بأن بريطانيا تنصحه بقوة الاستجابة للمطالب الفرنسية لمصلحته، كما طلب من هاي إبلاغ السلطان أن " :الحكومة البريطانية شعورا منها بالصدقة المخلصة اتجاه الإمبراطور، و رغبة منها في الإبقاء على الإمبراطور مستقلا وقويا"⁵⁴، وأضاف في نصيحته: " إن أفضل قاعدة يمكن أن يسترشد بها في علاقاته مع القوى الأخرى للإبقاء على استقلاله و الحفاظ على السلام تتمثل في الالتزام بالحرص الشديد على عدم إعطاء أية قوة أجنبية مبررا للشكوى ضد⁵⁵، وأضاف بالمستون " وفي أية مناسبة من هذا النوع وعندما تواجه المتاعب الإمبراطور أو تهدده المخاطر من الخارج فله أن يعتمد دائما وبكامل الثقة على صداقة بريطانيا وأن يتأكد بأن الحكومة البريطانية سوف تعينه من كل الأحوال بالنصيحة والمساعي الطيبة"⁵⁶

حاول الجنرال بيجو السيطرة على المواقع الاستراتيجية للأمير فسيطر على مدينة تلمسان في جانفي 1842، و بدأ بمطاردة قوات الأمير بين جبال طردة و ندرومة، وكان الأمير قد غادر هذه المواقع متوجها نحو المغرب خلال شهر مارس 1842م، كما ضاعفت فرنسا من ضغطها على السلطات المغربية لمنع الأمير من العودة إلى الجزائر، حيث راسل بيجو إلى عامل طنجة ابن الكناوي يطالبه بمنع الأمير من عبور الحدود، كما كتب القنصل الفرنسي نيون للسلطان في نفس الأمر⁵⁷.

وفي هذه الأثناء كتب اللورد إبردين الذي خلف بالمستون في وزارة الخارجية في 06 ماي 1842 إلى هاي خطابا تضمن تعليماته وطالبه بإبلاغها للسلطان اذ تمثل وجهة نظر الحكومة البريطانية حول العلاقات مع الأمير، كتب أبردين: " ترى حكومة جلالته إن على الإمبراطور أن يتصرف بحكمة ويبدل أقصى جهده لمنع رعاياه من القيام بأي دور في الصراع القائم بين عبد القادر والفرنسيين⁵⁸

زار هاي السلطان في مكناس، وفي اجتماع بينهما في 21 يونيو عام 1842 شرح القنصل العام آراء الحكومة البريطانية حول ما ترتب على ثورة الأمير ضد الفرنسيين، وكان ردّ السلطان المغربي بأنه سيضع النصيحة محل الاهتمام، وأضاف بطريقة فيها الكثير من الدبلوماسية أنه يعتبر ما تقوم به الحكومة

السلطان أن بريطانيا لن تتخلى عن المغرب وستدافع عنه ضد أي عدوان فرنسي⁶³

فما أسباب كل هذه الثقة في الموقف المغربي اتجاه بريطانيا؟

لقد بدا واضحا لدى هاي أن السيد روبرت ويلسون حاكم جبل طارق كان مسئولاً عن التطمينات التي قدمها للسلطان عن استعداد بريطانيا لتدعيم السلطان في أية مواجهة⁶⁴، هذا الأمر دفع بهاي إلى إرسال خطاب إلى هنري بولوير السفير البريطاني في مدريد في 4 أوت 1844 ليبلغه بأنه مزعج بشدة بسبب تدخلات غير المسؤولة من السيد روبرت ويلسون في الشؤون المغربية، و كتب على إثر ذلك اللورد أبردين إلى وزير المستعمرات يطلب منه إرسال التعليمات إلى السيد روبرت للتوقف عن التدخل في صلاحيات القنصل العام هاي⁶⁵.

لم يرد المغاربة على الإنذار الفرنسي، وما لبث أن تطورت الأمور تطوراً سريعاً فاضت إلى اصطدام في الجهة البرية ولقى الجيش المغربي هزيمة كارثية و مرعبة في ما وراء نهر أسلي في 14 أوت 1844، كما قصفت مدينة موكادور في 15 أوت ودمرت⁶⁶.

أصبحت هزيمة معركة أسلي ورقة ضغط في يد الفرنسيين، وهذا ما كان وراء فرض فرنسا على المغرب معاهدة مجحفة، وقد أعاد الموقف البريطاني الرفض لأي توسع فرنسي في المغرب نوع من الاعتدال في المفاوضات، فقد أعلن وزير الخارجية اللورد أبردين بشارع 31 أوت 1844 "إن احتلال أية نقطة من الأراضي المغربية احتلال دائماً سيكون بمثابة إعلان حرب"⁶⁷.

وقعت المعاهدة في 10 سبتمبر 1844 وتضمنت ثمانية شروط منها:

-الشرط الثالث المتضمن التزام المغرب بعدم تقديم أي مساعدة لأي تائر

-الشرط الرابع وضع الحاج عبد القادر خارجاً عن القانون على امتداد الأراضي المغربية و الجزائرية، و عليه يجب متابعتها بالسلاح.

البريطانية من إبداء النصح دليلاً على صداقتها المخلصة للمغرب. وأن هذا الرباط التقليدي هو الذي يدفع رعاياه إلى وضع إنجلترا في أشرف مكانة، وإلى الارتباط بعلاقة وثيقة مع المغرب أكثر من أي بلد آخر⁵⁹

تسارعت الأحداث على المستوى العسكري، عندما اتخذ الجنرال بيجو قرار التوسع في الأراضي المغربية واحتلاله وجدة يوم 11 جوان 1844 بعد أن سيطر على منطقة لالا مغنية. وقد أملى بيجو على الكناوي مجموعة من الشروط لتحقيق السلم بين البلدين منها ما يلي:

-يجب انتقال الأمير وأسرته إلى فاس.

-تفريق دائرة الأمير عبد القادر.

-أن لا يمد بشيء من السلاح أو البارود أو رصاص أو غذاء.

وقد أكد الجنرال بيجو في مراسلاته للطبيب الكناوي، أن التخلص من الأمير عبد القادر سبيل لبناء علاقات ودية بين المغرب وفرنسا، فقال: "إنه رجل لم تكن له خدمة غير أنه سعى في الفساد بين الفرنسيين والمغرب و سبب تخليطه جذبكم نحو عامين إلى الآن"⁶⁰.

كما أرسلت فرنسا في 12 جوان 1844 إنذاراً للسلطان مطالبه بتسريح القوات المغربية المربطة قرب الحدود الجزائرية وإبعادها، وتسليم عبد القادر للفرنسيين، ثم أخيراً الموافقة على تعيين الحدود النهائية بين الجزائر والمغرب⁶¹. لم يتأخر رد الفعل الإنجليزي على الإنذار، فما إن استلم اللورد أبردين خبر هذا الإنذار من هاي حتى أصدر تعليماته إلى القنصل العام بالتوجه إلى البلاط الملكي، وشرح خطورة الموقف للسلطان.

وكما كان فقد وصل هاي إلى مراكش في 13 جويلية عام 1844، و تم استقباله من طرف سيدي محمد بن إدريس الوزير الكبير، و أبلغه هاي بنصيحة الحكومة البريطانية بشأن الأزمة، وذلك بقبول المطالب الفرنسية لأن اندلاع حرب بينهما سيكون تأثيره كارثي على مستقبل الاستقلال المغربي⁶².

ظهر واضحاً لدى هاي استخفاف مغربي بما تحاول بريطانيا تصويبه من خطر، ولمس من ردود الوزير الكبير ثقة عالية عند

ماي 1847 وجاء فيها " :أبلغكم أن لبريطانيا العظمى مصلحة قوية في الإبقاء على المغرب كدولة مستقلة، غير أن الحكومة البريطانية غير مستعدة للتدخل في الصراع بين الأمير عبد القادر والإمبراطور الحالي حول السيادة على المغرب، ومن ثم فعليكم، وحتى صدور تعليمات أخرى، أن تمتنعوا من الاشتراك بشكل مباشر أو غير مباشر في هذا الصراع ⁷³. وباستسلام الأمير عبد القادر في 27 ديسمبر 1847 فتحت صفحة جديدة ولكن ليست بالبيضاء، وقد كتب السلطان خطابا رسميا له في المساجد مشيدا بهذا النصر ومما جاء فيه " :الفاقد الفتان وخليفة الشيطان أبعد في الجسارة وامتنى مطى الخسارة ... وسولت له نفسه الإمارة الإنصاف بالإمارة وأراد شق عصا الإسلام ... واستبطن المكر والخداع ... فأتينا من رشده وعرفنا مضمرة قصده" ⁷⁴

و الحقيقة أن مسألة طمع الأمير في ملك المغرب مكيدة فرنسية، روجتها بريطانيا، وانطلت على السلطان فاقد النظرة البعيدة، و الرؤية الاستراتيجية، و دخل المغرب من هذا التاريخ في التفكير الجدي للقوى الكبرى للاحتلال و يمكن الاستدلال في ذلك ما جاء في كتاب شاستوقنصل فرنسا بالمغرب حيث كتب إلى وزير الشؤون الخارجية " :لقد اختفى اليوم كل عامل الخلاف بين فرنسا والمغرب و أمل أنه لم يعد علينا إلا أن نزيد في توثيق علاقات التفاهم بين الدولتين و سنعمل تدريجيا على إدخال الحضارة في هذه الإمبراطورية التي لا تزال على درجة كبيرة من البربرية و التخلف" ⁷⁵

لقد حاولت بريطانيا تحت سياسة خاصة بالمغرب يمكن تسميتها بنظرية مونرو بريطانيا بالمغرب، تتلخص خطوطها العريضة في منع فرنسا من استعمار المغرب مع الحفاظ عليه كسوق مفتوحة للتجارة الأوروبية وفي مقدمتها التجارة البريطانية وأبدى الإنجليز تخوفهم وحذرهم من الفرنسيين والاسبان الذين كانوا يدعون أن لهم حقوقا تاريخية وهم الأقرب جغرافيا إلى المغرب. ⁷⁶

7. قراءة في الموقف البريطاني من الغزو الفرنسي للجزائر:

صاحب وقائع الحملة الفرنسية على الجزائر في يونيو ويوليو عام 1830، مناقشات سياسية حامية لا نهاية لها في الصحف

وبذلك أصبحت قضية طرد الأمير أمرا مفروضا على السلطان المغربي، كما حملت المعاهدة المغرب مسؤولية منعه من مواصلة الجهاد وبعبارة أخرى التخلص من الأمير نهائيا ⁶⁸

أعلن السلطان عدائه الظاهر للأمير، وصدرت أعمال تعسفية في حقه وضد جيش المقاومة، وصفها محمد بيرم الخامس في كتابه صفوة الاعتبار: " بقي الأمير سيدي عبد القادر مدافعا ومهاجما إلى أن استولت الغلطات النفسانية المخالفة للديانة الإسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرنسيين على محاربة الأمير المشار إليه، و قطع عنه السلطان خطه التجائه جهات الصحراء، فاضطر الأمير إلى التسليم للفرنسيين ورحم الله الإمام محمد عبده حيث قال " إنما تتم نكاية الأعداء بخيانة الأصدقاء ... " ⁶⁹

وعندما توالى الأخبار بأن الأمير عبد القادر قام بمهاجمة مواقع فرنسية انطلاقا من أراضي الريف كتب أبردين إلى هاي يطلب منه إبلاغ السلطان بأهمية الالتزام بشروط معاهدة طنجة وطرده الأمير من ممتلكاته .

من الضروري أن يفهم الإمبراطور وأن يعلم بأنه إذا لم يكن بإمكانه طرد عبد القادر فإن الحكومة الفرنسية تملك هذا الحق وسوف تستخدمه قطعاً" ⁷⁰

وفي مراسلة أخرى من هاي إلى اللورد أبردين مؤرخة في 20 أكتوبر 1845 شرح من خلالها الوضعية الصعبة التي يوجد فيها السلطان المغربي إتجاه قضية الأمير عبد القادر، وبين القنصل المكانة التي أصبح يتمتع بها الأمير عبد القادر لدى المغاربة حتى أنه أصبح يؤثر فيهم أكثر من تأثير السلطان نفسه وجاء أيضا في رسالة السفير: " إذ ما عارض السلطان الفرنسيين فلن يتمكن من تجنب الحرب معهم، وإذا ما عارض عبد القادر فسوف تنشب حرب أهلية تطيح بجلالته عن العرش" ⁷¹

أفلحت فرنسا في توظيف ورقة الأمير وخطره على العرش المغربي وبتأكيدات بريطانية، ومما جاء في هذا الإطار ما كتبه هاي في 31 أوت 1846، إلى اللورد بالمستون، يبلغه بوجود عصابة قوية من فاس تعمل على خلع السلطان عبد الرحمن وإحلال عبد القادر محله، وطلب هاي التعليمات لمواجهة الموقف ⁷²، وكان الرد من خلال رسالة بعث بها بالمستون في 18

والغرف البرلمانية في فرنسا، ولم يكن الأمر عليه في بريطانيا، واكتفت الصحف بإعلام البريطانيين بمجريات الأحداث وتطوراتها ولم تقدم سوى القليل من التحليل، دون أن تحاول صناعة رأي عام بريطاني ينظر إلى مسألة الغزو بنظرة قومية مهددة لمصالح بريطانيا الاستراتيجية، ولم تحدث أنباء الغزو إلا ضجة قليلة، وسنستعرض بعض المواقف ورؤى الطبقة السياسية الإنجليزية من مسألة الغزو الفرنسي للجزائر.

الظاهر أن أولئك الذين عارضوا الغزو -أقلية صغيرة - فعلوا ذلك في الأساس لأنه هدد النفوذ البحري والاستعماري البريطاني⁷⁷. وكانت حججهم تقول إن الوجود الفرنسي في الجزائر سيعرض للخطر مكانة بريطانيا المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط، كما أنه يمكن أن تتحول الجزائر إلى نقطة انطلاق لمخططات أوسع للغزو الأفريقي، أو في الواقع إلى الهدف الفرنسي المفترض مصر⁷⁸، ثم طرح تأثير الغزو على مستقبل الدولة العثمانية وهل سيكون ذلك سببا في توتر العلاقات الانجلو-فرنسية.

ظهر قلق كبير في الأوساط البريطانية حتى عند مؤيدي الغزو بالطريقة و التعامل الدبلوماسي الفرنسي مع مجريات الغزو و انتقدوها ربما أكثر من انتقاد الغزو نفسه، فيبدو أن فرنسا قد خالفت تعهداتها بعدم تسوية ما يجب القيام به في الجزائر دون التشاور مع بقية أوروبا⁷⁹، و ضربت ضماناتها السابقة عرض الحائط.

هذا من جانب، من جانب آخر نظر الكثير من السياسيين البريطانيين إلى الغزو الفرنسي على أنه لا يشكل خطرا حقيقيا على المصالح الاستراتيجية البريطانية، بفضل امتلاك بريطانيا لقواعد بحرية و موانئ من الدرجة الأولى مثل مالطا وجبل طارق والجزر الأيونية، و عليه حصلت بريطانيا على الريادة البحرية في المتوسط، وهو ما يخلق افضلية الموانئ البريطانية عن أية مستعمرة فرنسية على المتوسط ترتب في الدرجة الثانية من حيث الأهمية الجيوستراتيجية⁸⁰.

نظر البريطانيون إلى مسألة الغزو على أنها مجرد مناورة سياسية فرنسية داخلية من قبل حكومة تشارلز العاشر من أجل إسكات الأصوات المناوئة للنظام وفي ذلك قال شارل العاشر «أنه لمن

الجميل أن تأتي البرلمان وفي أيدينا مفاتيح مدينة الجزائر"، ولا يمكن اعتبار هذا الغزو عملا استراتيجيا متماسكا⁸¹.

- كما نظر البعض إلى أن الجزائر ذات فائدة قليلة للفرنسيين في حالة حدوث حرب أوروبية، فمن الناحية العسكرية لن تتمكن فرنسا من ربط آلاف الجنود، و سينهار بسرعة في مواجهة الحصار البريطاني و تعزل نهائيا⁸².

- تم التعامل مع فكرة تحول فرنسا نحو الاستعمار إلى خارج أوروبا في بعض الأوساط كعلامة على التزامها الجديد بالسلام الأوروبي. فتورطها في الاستعمار الأفريقي كان من المحتمل أن يمنحها من إثارة صراعات قارية جديدة⁸³، لذا كان من المعتقد على نطاق واسع أن امتلاك فرنسا للجزائر "ليس ضارا بمصالح إنجلترا"، بل اعتقد الكثيرون أنها ستعمل لصالح بريطانيا وكان محكوما على المستعمرة أن تفشل.

- رحب العديد بموقف فرنسا لمواجهة القرصنة سيئة السمعة في البحر الأبيض المتوسط، وانتهاء عهد الجزية والاتاوات والغاء العبودية المسيحية، هذا سيخدم التجارة الإنجليزية وادعى البعض أن الشعب الإنجليزي يشعر بالمتعة حتى أن الآخرين ذهبوا إلى حد اقتراح أن الساحل الأفريقي بأكمله يجب التخلي عنه إلى فرنسا⁸⁴، هنا يمكن الاستدلال بتزايد عدد البريطانيين الوافدين إلى الجزائر، سواء من التجارة وصيد الأسود ودراسة الحياة النباتية والاستلها من مظاهرها الطبيعية البكر.

من الواضح، أن شعورا عاما وقناعة شبه راسخة طبعت آراء البريطانيين عموما من أن الفرنسيين يرتكبون سلسلة من الأخطاء القاتلة في الجزائر. وأن الفرنسيين غير قادرين كأمة للاستعمار. كان هذا "رأيا يتم تلقيه بشكل عام".

كانت الأطروحة الموحدة في التحليل البريطاني للمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر في غاية البساطة: لقد كان فشلا فادحا. كان يُفهم أن الفشل كبير الحجم ومتعدد الأوجه. من الواضح أن الجزائر كانت استنزافا كبيرا للموارد العسكرية والمالية والبشرية للدولة الفرنسية، دون أن تكون منتجة لأي ميزة سياسية أو اقتصادية. في عام 1857، وفقا لأحد التقديرات، بعد إنفاق 90 مليون جنيه إسترليني، كان عدد سكان البلاد 60.000 مستعمر فقط، ومعظمهم لم يكونوا فرنسيين، لم يتم اكتساب

9. قائمة المراجع
- 1.9 المصادر
- الوثائق البريطانية: Foreign Office Correspondence at the Publique Record Office
- * F.O.99 مراسلات صادرة من المفوضية البريطانية في طنجة إلى وزارة الخارجية البريطانية: أجزاء: 7، 10، 11، 24، 26، 34.
- * F.O.52 مجموعة مراسلات عامة قبل 1906 من المغرب إلى وزارة الخارجية البريطانية: أجزاء: 38، 40.
- صحيفة التايمز 19 جويلية 1830 ص 02
- محمد بن عبد القادر، تحفة الجزائر من تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، لبنان، 1964، ص 188
- محمد بيرم الخامس شيخ الإسلام التونسي، صفوة الاعتبار، ج 4، طبع القاهرة، 1303 هـ، ص 10
- Louisa Annette Edla Drummond-Hay Brooks, Alice Emily Drummond-Hay, *A Memoir of Sir John Drummond Hay*, London, J. Murray, 1896, p 203- 204
- Mabel Sharman Crawford, *Through Algeria*, London: Richard Bentley, 1863,
- M.J.QUIN. *The French in africa*. Dublin Review 1838, 04, pp. 179-201
- Saxe Banniste, *Appel en faveur d'alger et de l'afrique du nord par un anglais*, Paris, Dondey -Dupre, impr.lib. 1833. p.3-5
- *The french in africa*. london: james ridgway and sons. 1839
- Thomas Fletcher Waghorn : *Egypt as it is in 1837*, London :Smith Elder, 1837
- المنطقة خارج مدينة الجزائر العاصمة وبضع نقاط على الساحل. لم يتم إجراء أي تحسن في حالة السكان الأصليين⁸⁵.
- كان الهدف الأساسي من التعليق البريطاني على الحكم الفرنسي في الجزائر إذن ليس تجريم الممارسات الفرنسية⁸⁶، بل توضيح سبب فشل المستعمرة، واثبات فعالية الممارسات البريطانية.
- 8.الخاتمة:
- شكلت التطورات التي عرفها الساحل الشمالي الافريقي نتيجة الغزو الفرنسي للجزائر، نقطة ارتكاز حقيقية للسياسة البريطانية، فقد ابانوا عن سياسة حازمة، تهدف الى الحيلولة دون تمكين أي دولة اجنبية من مد نفوذها في المناطق المجاورة لقواعدها البحرية في المتوسط، وسعت الى افتكاك ضمانات والتزامات من فرنسا بعدم القيام بتوسعات إضافية في المنطقة، و في نفس الوقت جرى تسهيل عمليات بيع ونقل الأسلحة من جبل طارق الى المغرب و الى رجال مقاومة الأمير عبد القادر و التي شكلت عنصرا لازمة في العلاقات الفرنسية المغربية، وسعت بريطانيا في صفة " الناصح الأمين" لدى سلطان المغرب لفك أسباب التوتر مع الفرنسيين في محاولة للحفاظ على ما سمي بالوضع الراهن في المغرب.
- ان ما سجل من مواقف البريطانيين كان نابعا من قناعتهم بفشل المشروع الاستعماري الفرنسي واستنزافا للقدرات الفرنسية، ولم يكن ابدا مهيدا للمصالح البريطانية، بل بالعكس استفادت بريطانيا من خلال توافد وتزايد عدد الانجليز المقيمين في الجزائر بعد ان أصبحت الرحلة البحرية تستغرق اقل من 72 ساعة زمن.
- لم يكن الموقف البريطاني نابع من نظرة نقدية للسياسة الاستعمارية الفرنسية وأساليب اخضاعها للجزائر والتنكيل بشعبها، ولكن نابع من سمو الأساليب البريطانية الاستعمارية وان تقدم للعالم نجاح مشروعها الاستعماري الامبراطوري، وهنا يمكن التأكيد على ان الاستعمار ملة واحدة. ضع النتائج المتحصل عليها هنا، بدء بتلخيص وتحليل المعطيات المتحصل عليها ذات الصلة بموضوع البحث. مع تقديم تفسير لهذه النتائج خاصة ما تعلق بالفرضيات المطروحة ومدى صحتها.

-Francis, Flournoy, **British policy towards morocco in the age of palmerston 1830-1865**; Baltimor, 1935 ,pp.54-55

-Valmy,d.h,Question d'Alger:histoire des negociations.Paris:Proux & C^{ie} 1841

9.2 المراجع

- Gabriel de Broglie, **La monarchie de Juillet**, Libra Arthème Fayard, 2011, pp. 181-182

-Gabriel Esquer, **Les commencements d'un Empire : la Prise d'Alger 1830**, Paris :Larose, 1929,p.158

-Ismail Hammet : **Le Gouvernement Marocain et la conquête d'Alger**, Thala édition, les éditions Chihab (sd) , 1998, p. 34.

-Jean Darcy, **France et Afrique du Nord : cent années de rivalité coloniale**, l'Afrique, Paris, Perrin et Cie, 1904, p.116-117.

-Luella.j (Hall), **The United States and Morocco, 1776-1956**, The Crom Press, NY, 1971, p161.

- Testa Baron, **Recueil des traites de la porte Ottomane avec les puissances étrangères**, Paris, Amyot, 1864, t.1.pp.446-448

-Testa Baron, **Recueil des Traités de la porte Ottomane avec les puissances étrangères**, Paris, Amyot, 1864, t.1. pp.446-448

-Walter Frewen Lord , **England and France in the Mediterranean (1666- 1830)**, London , Sap son – Law Marston , 1901, p. 91

9.3 المقالات

- ارزقي شويتم، مواقف الدول من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد (06)، السنة 1992، ص 130.

- Alex Middleton, **French Algeria in British imperial thought 1830-1870**, journal of colonialism and colonial history, 16(1) , January 2015.

-أحمد العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب 1830-1902، دبلوم دراسات معمقة، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 87.
- احمد مسعودي، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792-1830، دار الخليل العلمية، الجلفة، 2013،

-أديب حرب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير 1808-1847 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982،

- إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 220

-خالد بن صغيرالمغرب و بريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856-1886 (الإصدار 02). الرباط: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، (1997).

- فيليب جورج روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، ترجمة يونس لبيب رزق، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981،

- زكية زهرة، التنافس الفرنسي الانجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي 1792-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997.

- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر الجديدة، 1993، ص 86-89

- نور الدين بلعربي: العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر، 1830-1847، مذكرة لنيل شهادة الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 88

- محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.

- محمد بنهاشم، العلاقات المغربية الأمريكية 1786-1912، دار ابي رقرق للطباعة، ط 1، 2009.

- يعي جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، دار المعارف، القاهرة، 1982.

- Paul Bairoch. Commerce international et genèse de la révolution industrielle Anglaise. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 28^e année, n° 2, 1973. pp. 541-571

- Henry Wilson Beckles, l'ambassade d'Angleterre 1814-1920; un siècle de relations diplomatiques Franco-Britanniques. revues Belge de philologie et d'histoire, 1930, 09(02), pp. 654-656.

-Raphael Danziger, Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans, in revue de l'occident musulman et de la méditerranée n°18, 1974, pp. 45- 63

-George Yver : Abdelkader et le Maroc en 1830, R. A n°60 année 1919, O.P.U, Alger 1986, p. 1025.

10. الهوامش

-Jean-louis Miegé, Le Maroc et la guerre de Grimée 1854-1856, Hesperis n° 3-4, 1959, pp. 161- 162.

⁷- زكية زهرة، التنافس الفرنسي الانجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي 1792-1830. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997، ص 209

⁸- نفسه ، ص 209

⁹- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر الجديدة، 1993، ص 86-89

¹⁰- احمد مسعودي، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية

منها 1792-1830، دار الخليل العلمية، الجلفة، 2013، ص 172

¹¹- أنظر نص الرسالة التي بعثها لأبردين بتاريخ 08 مارس 1830 في:

Walter Frewen Lord , England and France in the Méditerranéen (1666- 1830), London , Sap son — Law Marston , 1901, p. 91

¹²- راجع في هذا الشأن Jean Darcy, France et Afrique du Nord : cent années de rivalité coloniale, l'Afrique, Paris, Perrin Nord : cent années de et Cie, 1904, p. 116-117.

¹³- Testa Baron, Recueil des Traités de la porte Ottomane avec les puissances étrangères, Paris, Amyot, 1864, T.1. pp. 446-448

¹⁴- أنظر نص الرسالة التي بعثها ستوارت إلى أبردين 26 مارس 1830 في Lord, w.f, op cit , PP 94-95 :

¹⁵- Darcy . j , Op cit , P 129-130

¹- Paul Bairoch. Commerce international et genèse de la révolution industrielle Anglaise. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 28^e année, n° 2, 1973. pp. 541-571

³- Gabriel Esquer, Les commencements d'un Empire : la Prise d'Alger 1830, Paris Larose, (1929) .p.158

⁴- Henry Wilson Beckles, l'ambassade d'Angleterre 1814-1920; un siècle de relations diplomatiques Franco-Britanniques. revues Belge de philologie et d'histoire, 1930, 09(02), pp. 654-656.

⁵- بالمرستون واسمه الكامل هو Henry Temple Viconte Palmerston وهو من أبرز رجال السياسة البريطانيين (1784- 1865) كان وزيرا للخارجية ما بين 1830- 1841 و 1846- 1851 ، تميز بعدائه الواضح للنفوذ الفرنسي في العالم، ثم أصبح وزيرا أول من 1855 إلى 1858 و من 1859 – 1865 .

⁶- خالد بن صغير: المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856- 1886 (الإصدار 02). الرباط: منشورات كلية الاداب و العلوم الإنسانية، . (1997)، ص 50

- ³⁵ - Louisa Annette Edla Drummond-Hay Brooks, Alice Emily
Drummond-Hay, *A Memoir of Sir John Drummond Hay*, London, J. Murray, 1896, p 203- 204.
- ³⁶ - Ibid;204
- ³⁷ - نور الدين بلعربي: العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر، 1830-1847، مذكرة لنيل شهادة الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 88
- ³⁸ - Flournoy
op. cit., pp 45- 46.
- ³⁹ - إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 213
- ⁴⁰ - محمد بن عبد القادر، تحفة الجزائر من تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار البقعة العربية، لبنان، 1964، ص 188
- ⁴¹ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 226
- ⁴² - F.O.52/40
- ⁴³ - F.O.52/40
- ⁴⁴ - إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 220.
- ⁴⁵ - George Yver : *Abdelkader et le Maroc en 1830*, R. A n°60 année 1919, O.P.U ,Alger 1986, p. 1025.
- ⁴⁶ - إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 232.
- ⁴⁷ - نور الدين بلعربي: مرجع سابق، ص 93
- ⁴⁸ - محمد بنهاشم، العلاقات المغربية الأمريكية 1786-1912، دار ابي رقرق للطباعة، ط 1، 2009، ص 100-106
- ⁴⁹ - الرسالة مؤرخة في 4 مارس 1836 موجهة من غرن فيل إلى بالمستون: Luella.j (Hall)
- ⁵⁰ - Miegé, *Le Maroc et la guerre de Grimée 1854- 1856*, Hesperis n° 3-4, 1959, pp .161- 162.
- ⁵¹ - محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 150، 151
- ⁵² - نفسه، ص 153
- ¹⁶ - Saxe Banniste, *Appel en faveur d'alger et de l'afrigue du nord par un anglais*, Paris, Dondey -Dupre ,impr.lib. 1833 .p.3-5
- ¹⁷ - Valmy,d.h,Question d'Alger:histoire des negociations.Paris:Proux & C^{ie} 1841
- ¹⁸ - Serres . j , op cit , pp 61-62
- ¹⁹ - Darcy, op.cit. p 148
- ²⁰ - Francis, Flournoy, British policy towards morocco in the age of palmerston 1830-1865. Baltimor,1935 ,pp.54-55
- ²¹ - زهرة زكية، مرجع سابق ، ص 247
- ²² - Gabriel de Broglie, *La monarchie de Juillet*, Librairie Arthème Fayard, 2011, pp. 181-182
- ²³ - Serres . j , op cit , pp 64-65
- ²⁴ - Darcy , op cit , p. 134
- ²⁵ - Ibid ; p.131
- ²⁶ - أرزقي شويثام، مواقف الدول من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد (06)، السنة 1992، ص 130
- ²⁷ - نفسه، ص 130-131
- ²⁸ - Flournoy,op cit , pp. 54- 55
- ²⁹ - روجرز ، مرجع سابق ، ص 192.
- ³⁰ - إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 220
- ³¹ - روجرز ، مرجع سابق ، ص 190-191
- ³² - Ismail Hammet : *Le Gouvernement Marocain et la conquête d'Alger*, Thala édition, les éditions Chihab (sd) , 1998, p. 34.
- ³³ - Philippe Cassé Brissac : *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête d'Algérie 1830- 1947 à*, la Rose Paris, 1931, P 24
- ³⁴ - روجرز، مرجع سابق ، ص 191

⁷⁵ - يحي جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية. دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 316	⁵³ - Raphael Danziger, <u>Abd Al-Qadir's first overtures to the British and the Americans</u> , in revue de l'occident musulman et de la méditerranée n°18, 1974, pp.45- 63
⁷⁶ - F.O.52/38	
⁷⁷ - Alex Middleton, French Algeria in British imperial thought 1830-1870. journal of colonialism and colonial history, 16(1) , January 2015	⁵⁴ - F.O.99/7
⁷⁸ - Thomas Egypt as it is in 1837. london: smith elder ,1837.- Fletcher Waghorn	⁵⁵ - F.O.99/7
	⁵⁶ - نور الدين بلعربي، مرجع سابق، ص 88
⁷⁹ - Middleton, op cit,	⁵⁷ - F.O.99/7
⁸⁰ - The french in africa. london: james ridgway and sons.1839	⁵⁸ - F.O.99/10
⁸¹ - Middleton, op cit,	⁵⁹ - F.O.99/10
⁸² - Idem	⁶⁰ - أحمد العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب 1830-1902، دبلوم دراسات معمقة، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 87.
⁸³ - M.J.QUIN. The French in africa. Dublin Review 1838, 04, pp. 179-201	⁶¹ - نفسه، ص 88
⁸⁴ - Times, 19 July 1830: 2	⁶² - روجرز، مرجع سابق، ص 200
⁸⁵ - Mabel Sharman Crawford, Through Algeria , London: Richard Bentley, 1863: 355.	⁶³ - F.O.99/11
⁸⁶ - Middleton, op cit,	⁶⁴ - Flournoy
	⁶⁵ - op cit , p.58
	⁶⁶ - روجرز ، مرجع سابق ، ص 201
	⁶⁷ - نفسه
	⁶⁸ - Flournoy , op cit , pp. 59- 60
	⁶⁹ - أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص ص 500-501
	⁷⁰ - شيخ الإسلام التونسي محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار، ج 4 ، طبع القاهرة ، 1303 هـ، ص 10
	⁷¹ - F.O.99/24
	⁷² - F.O.99/26
	⁷³ - روجرز، المرجع السابق، ص 206
	⁷⁴ - F.O.99/34
	⁷⁵ - Hammet
	⁷⁶ - , op.cit, p.118.